

فالقائل قولاً لا تصدقه فعاله مخذول مردول ممقوت عند الله وعند الناس، معدود في زمرة المنافقين المرائين، ومن الذين يجبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَقَادِرٍ أَلْمَدَّاتِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وإنك لتجد كثيراً من الناس كذلك وكما قال الشاعر:

إذا ندبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل

وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٨] الآيات.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي

قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

ومعنى ذلك والله أعلم أن قوله مخالف لما في قلبه، وأنه إذا تكلم في الدنيا أي في وصفها وشأنها أعجبك كلامه لوصفه إياها بما يطابق الحقيقة من فوائدها وعدم بقائها وأنها كعجوز شمساء تزينت للناس بمتاعها وزخرفتها، ويدت لهم في ثياب الفتيات تغرهم بالآمال وتخدعهم بمزيف الجمال، وهو ألد الخصام أي شديد الخصومة في الباطل إن عرض له منها عارض أو بدت له فيها أية منفعة، فتراه مثلاً يزول الآيات لأجل حطامها، ويضعف الأحاديث طمعاً في وصلها، ويحل الشيء عاماً ويحرمه عاماً، وإن وصف لك المتقين خلته منهم، وإن ذم لك المنافقين حسبه من أشد الناس عداوة لهم، ولكنك إذا بلوت أخباره، ورأيت فعاله، عجبت من أحواله، ومخالفة أفعاله لأقواله. فمثل هذا لا يصلح للدعوة إلى الله ولا يكون من أهلها. ولكنه إذا وجد في هذا الزمان يعد من أئمة الإصلاح ويعطى أضعف ألقاب العلم والفضل، وأشرف أسماء السيادة والنبيل والذكاء والعقل !!

حتى على علماء المسلمين في كل بلد وقطر أو يقوموا متضافرين

الدعوة إلى الله (١)

[٣]

الدعوة إلى الله تستلزم جهاداً، وصبراً من الداعي، وحلماً ورفقاً بالمدعو.

وهذه أركان الدعوة، فإذا جاهد ولم يصبر لم ينصر، وإن صبر ولم يكن حليماً رقيقاً بالناس لم يظفر بالنجاح، وربما كان ضرره أكثر من نفعه، وتغييره أكثر من تأليفه، وإفساده أكبر من إصلاحه.

ويشترط في الداعي إلى الله أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه عاملاً به، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومن قوله عز من قائل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله تعالى في قصة شعيب حاكياً عنه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنَا فَأَعْلَمُكُمْ إِنَّ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقوله ﷺ لرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِشِرْطِ الْغَيْبِ﴾ [شريك الله وبيدك أُرِثُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] أي: أول المتقادين المطيعين لما أدعوكم إليه.

فأما إذا كان الداعي على غير بصيرة فيما يدعو إليه فقد ضل وأضل. وكذلك إذا خالف إلى ما ينهى عنه أي تخلف عن رُفقة المطيعين وخالفهم ما نهاهم عنه.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [كبريت: ٢٣] عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. [الصف: ٢-٣].

(١) مجلة الإصلاح - العدد الخامس - ١ / ٥ / ١٣٤٧ هـ.

خطأهم في العقائد ويصرونهم بالعواقب ويضربون لهم الأمثال، ويتلون عليهم قصص الأمم الغابرة في القرآن، ويخطبون في المساجد والمجتمعات، وأنى لنا بأولئك الدعاة الذين توفرت فيهم شروط الدعوة وأنابوا إلى الله وأخلصوا له؟

أقول - والحزن ملء فؤادي - إنهم قليلون، بل هو أقل من القليل. نسال الله أن يكثرهم في المسلمين، وأن يلهم الأغنياء والملوك والأمراء البذل في هذا السبيل وإعداد طائفة من الدعاة والمرشدين.

كما أسأله أن يوفقهم للأخذ بأحكام الشريعة الغراء ويقوموا بالحدود فإن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن. والسلام.

* * *

متناصحين داعين إلى الله، ناعين على أهل البدع الشركية بدعهم، مقيمين عليهم الحجّة، رافعين لهم لواء السنّة، فإنهم متى رأوا ذلك اللواء في يد نقاة الأمة انضوا إليه ولحقوا به وكانوا تحت ظله فكانوا من المصلحين.

فليستد العلماء العارفون بالتوحيد من الجبين وحب الدنيا والحرص عليها ويقموا على قدم وساق بادئين بما هو الأهم كما في حديث معاذ: «فليكن أول ما تدعوههم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات» الحديث^(١).

فواجب على العلماء العارفين معنى الشهاداتتين أن يدعوا الناس إليهما حتى يحققوا العمل بهما إيماناً بالله ورسوله وكفراً بالطواغيت، واجب على العلماء أن يعملوا أمام العوام بما يعلمون ليكونوا لهم خير قدوة يفهمون بها الكتاب والسنّة فهماً عملياً، كما كان النبي ﷺ يعلم الناس بالعمل. والأحاديث الدالة على ذلك في الصحيحين وغيرهما، وكأن علماء التّربية في هذا العصر وقفوا على كيفية تعليم الرسول ﷺ فاقْتَدُوا به وأصبحوا لا يدخل مدرس المادة من العلم إلا أخذ معه عدة تمثيلية وتصويرية، إن لم يمكنه عمل الشيء بنفسه أو إيجاده تحت حواس المتعلمين، كما في تعليم الكيمياء والطبيعة وغيرهما من العلوم.

وبعد، فمتى يعود المسلمون إلى دينهم ويعملون بكتاب ربهم وسنة نبيهم.

ليعود إليهم عزهم وسيادتهم وملكهم؟

سؤال يخالج كل ذي ضمير حي وعقل سليم.

والجواب عليه: إذا وجد دعاة يدعونهم إلى الله بالرفق، ويبينون لهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).